الحركة النسائية في الخليج

سبيكة محمد النجار
عضوة في الجمعية النسائية أوال والسكريتيرة العامة لجمعية حقوق الانسان في البحرين.

المقدمة

ظهرت الحركة النسائية في الخليج متأخرة كثيراً عن مثيلاتها في مصر وبلاد الشام. ويمكن إرجاع السبب في ذلك الى قوة التقاليد الاجتماعية التي حرمت المرأة الظهور والمشاركة في الحياة العامة وتأخر تعليم البنات مقارنة بتعليم الذكور. إذ لم تتوسع الدول الخليجية في تعليم الفتاة إلا بعد ظهور النفط الذي ساعدها على إرساء دعائم الدول الحديثة. وافتتحت أول مدرسة حكومية للبنات في البحرين عام ١٩٣٨، أي بعد ما يقارب أكثر من ربع قرن على افتتاح اول مدرسة حكومية للبنين. وقد تأخر إنشاء مدارس البنات أو التوسع فيها في سلطنة عمان وبعض إمارات ساحل عمان (الامارات العربية المتحدة حالياً) الى بداية السبعينات من القرن الماضي.

وتأثرت البدايات الأولى للحركة النسائية في الخليج وبالأخص في البحرين والكويت بالحركة الثقافية السائدة في مصر وبلاد الشام وبكتابات المفكرين الذين تناولوا قضايا المرأة كرفاعة الطهطاوي وقاسم أمين وغيرهما. كما تأثرت الحركة برائدات الحركة النسائية العربيات مثل هدى شعراوي. وظهرت في الأربعينات من القرن الماضي بعض الأقلام الرجالية والنسائية التي تدعو المرأة للمساهمة في النهضة والتحرر من قيود التقاليد البالية.
وسنحاول في هذا المقال دراسة تاريخ الحركة النسائية في منطقة دول مجلس التعاون الست وهي البحرين والكويت وقطر والأمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان والمملكة العربية السعودية.

أولاً: الحركة النسائية في البحرين

لعب التعليم دوراً بارزاً في ظهور الحركة النسائية والذي تمثلت بداياته في ازدياد وعي المرأة بذاتها ومحاولتها الخروج على الوضع الذي فرضته عليها التقاليد والأعراف. كما لعبت الصحافة دوراً كبيراً في طرح القضايا الجديدة على الساحة الخليجية كضرورة إنتشار التعليم بين النساء والدعوة إلى السفور وفتح مجالات العمل المختلفة أمام المرأة. ومن ناحية ثانية لعبت الجاليات العربية التي تولى أفرادها مسؤولية التعليم في مدارس البنات دوراً هاماً وأساسياً في بلورة وعي النساء وتشجيعهن على إنشاء جمعياتهن. فقد قامت المدرسات الوافدات العاملات في مدرسة الهداية الخليفية للبنات (وحالياً مدرسة خديجة الكبرى) بإنشاء جمعية مساعدة اليتيم وإنضم الى هذا التجمع الصغير بعض بنات العائلات الغنية.

وفي عام ١٩٥٣ تأسس نادي البحرين للسيدات برئاسة الليدي بلجريف، زوجة المستشار البريطاني، التي اختارت نخبة من سيدات الطبقات العليا اللواتي نلن قسطاً من التعليم مثل السيدة الفاضلة عائشة يتيم (سكريتيرة) والسيدة سلوى العمران (عضواً إدارياً). وكان النادي يهدف الى القيام بالأعمال الخيرية ومساعدة الفقراء والمحتاجين وتعليم النساء بعض المهارات كالطبخ والخياطة.[١] وقد تعرض هذا النادي لهجوم على صفحات الجرائد وعلى منابر المساجد باعتباره عملاً منكراً وخروجاً على التقاليدو الأعراف. وبهذا الشأن أصدرت جماعة أطلقت على نفسها جماعة الدعوة الي الإسلام بياناً نقتطف منه العبارات التالية: «قاطعوا هذا المنكر واعلنوا الحرب النكر

والنكير على القائمين والقائمات بأمره. وأقتلوه في مهده قبل أن يرى النور، وإلا فالويل منه ثم الويل لنا جميعاً.»[٢]

على المستوى السياسي شهدت تلك الفترة تشكيل هيئة الاتحاد الوطني التي قادت العمل الوطني وبالأخص حركة ١٩٤٥–١٩٦٥. ويعتبر المؤرخون الهيئة أول حزب سياسي في منطقة الخليج.[٣] ويؤرخ الباحثون بدايات الحركة النسائية مع ظهور هيئة الاتحاد الوطني ويشيرون بشكل خاص إلى الدور الذي لعبته الأختان شهلا وبدرية خلفان في حث النساء على المشاركة في التظاهرات المناوئة للاستعمار البريطاني، والخطاب الذي القته احداهما في جمع ضمّ آلاف المتظاهرين وطالبت فيه بإعطاء المرأة حقوقها وبخلع الحجاب. ولقد كانت هذه الدعوة مثار إعجاب لدى بعض الشباب المتعلم وبدأوا يحثون زوجاتهم على الاقتداء بهذه السيدة. إلا أن تأثيرها كان آنياً ونتيجة لزخم الحركة السياسية آنذاك والتأييد والحماس الذي أبدته المرأة تجاهها، إذ غابت الأختان خلفان عن ساحة العمل، كما ضربت الحركة بقسوة واعتقل قادتها.

وقد اهتمت الصحافة بمسألة حقوق المرأة وأتاحت للأقلام العربية والبحرينية الفرصة للكتابة فيها. وفي هذا المجال تذكر المرحومة عزيزة البسام أن الكاتبة اللبنانية روز غريب كتبت في مجلة صوت البحرين وكان لها دور في طرح العديد من الاراء الاجتماعية المتقدمة. كما حثت الصحافة أيضاً على ضرورة دخول المرأة مجال العمل وتقلد المناصب الحكومية. وتناولت بعض الصحف مسألة السفور بالنسبة للمرأة وطالبت بنيل المرأة حقوقها، كما ظهرت للمرة الأولى عبارة الحركة النسائية والدعوة لربطها بالحركات النسائية المماثلة في الوطن العربي والعالم.[٤]

وبالرغم من ذلك كانت قوة التقاليد والأعراف أقوى من هذه الدعوات التي لم تستثمر بشكل صحيح بحيث يمكن تأطير النساء ضمن حركة نسائية مطلبية. وبالمقابل لم يكن قادة الحركة الوطنية راضين عن نادي السيدات ليس فقط لأن العرف السائد في تلك المرحلة يعتبر الأندية حصراً على الذكور، ولكن السبب الأهم هو أن النادي كان بقيادة زوجة المستشار البريطاني الذي يعد رمزاً للاستعمار البريطاني في البحرين. لذا دعا عبد الرحمن الباكر أحد أبرز زعماء حركة ٤٥–٥٦ الى إنشاء جمعية نسائية على غرار الجمعيات النسائية في مصر وبلاد الشام بدلاً من النادي. ونظراً لارتباط الكثير من التجار بالهيئة فقد اضطر أولياء الأمور الى منع بناتهم من المشاركة في النادي.[٥] ووجدت القائمات عليه أن أفضل مخرج لهن من هذا المأزق هو إنشاء جمعية نسائية خيرية هي جمعية نهضة فتاة البحرين التي بدأ العمل بها عام ١٩٥٥ وبذلك تكون أول منظمة نسائية تنشأ في منطقة الخليج.[٦]

وعلى غرار ما حدث في البلاد العربية كمصر وبلاد الشام حيث قادت الحركة النسائية شخصيات ينتمين إلى الطبقات الغنية والتي مكنتها ظروفها في تلك الفترة من التعليم والاحتكاك بالعالم الخارجي، فقد تكونت جمعية نهضة فتاة البحرين في غالبيتها من بنات العائلات التجارية اللواتي نلن قسطاً من التعليم. إذ حصلت رئيسة الجمعية السيدة عائشة يتيم على شهادة من بريطانيا، كما درست عضوتان آخرتان التمريض في العراق، هذا عدا العضوات اللواتي درسن في البحرين على يد مدرسات عربيات من لبنان على وجه الخصوص وحصلن على شهادة التعليم الابتدائي أو ما يعادلها.

وفي عام ١٩٦٠ أنشئت جمعية رعاية الطفل والأمومة[٧] وتنتمي عضواتها في مرحلة التأسيس الى الأسرة الحاكمة ونساء الطبقة التجارية الغنية وكبار موظفي الدولة. وقد ركزت الجمعيتان على العمل الخيري، كما افتتحت جمعية نهضة فتاة البحرين فصولاً لمحو الامية بين النساء لأول مرة في تاريخ البحرين. ثم تطورت الخدمات الرعائية للجمعيتين بافتتاحهما رياضاً للاطفال. كما قامت جمعية رعاية الطفل والأمومة بافتتاح مركز لرعاية الأطفال المعوقين ومركز ثقافي للأطفال. وفي الثمانينات انضمت الى جمعية نهضة فتاة البحرين فتيات ممن أنهين دراستهن في خارج البحرين وبالأخص في الكويت والقاهرة وبيروت وعملن في الحركات الطلابية وتأثرن بالحركات السياسية السائدة في ذلك الوقت. وكان لإنضمامهن أثر كبير في توجيه الجمعية وتركيزها على الجانب الحقوقي والمطلبي للمرأة.

كما أنشئت جمعية أوال النسائية على أثر نكسة حزيران وتم إشهارها رسمياً عام ١٩٧٠ أي بعد عشر سنوات تقريباً من تاريخ إشهار جمعية رعاية الطفل والأمومة. وتنحدر عضوات هذه الجمعية من الطبقة الوسطى وغالبيتهن مدرسات أو موظفات. ونشطت في هذه الجمعية فتيات ممن تلقين دراستهن في الخارج والتصقن بالحركات الطلابية والسياسية السائدة في ذلك الوقت، كما شارك بعضهن في التنظيمات السياسية الوطنية كالجبهة الشعبية لتحرير الخليج والجزيرة العربية التي قادت العمل المسلح إنطلاقاً من إقليم ظفار بسلطنة عمان، وكذلك جبهة التحرير الوطني وهي الجناح البحريني للحزب الشيوعي، بالاضافة الى حزب البعث العربي الاشتراكي. وكان للخلفية السياسية لقيادة الجمعية عند إنشائها أعظم الأثر في توجهات الجمعية التي رفضت العمل الخيري والرعائي السائد وركزت على العمل المطلبي الحقوق النسوي.[٨]

وفي نفس السنة أي عام ١٩٧٠ تمّ إنشاء جمعية الرفاع الثقافية الخيرية وعضواتها من الموظفات وخاصة المدرسات. وقد كانت في بدايتها قريبة إلى حد ما من توجهات جمعية أوال، وخاصة